التَّوجِيهُ النَّحْوِيُّ لِلْقِراءَاتِ القُرآنِيَّةِ فِي تَفْسِيرِ (اللُّبَاب فِي عُلومِ الكِتَاب)

عامر سليمان درويش
جامعة البعث
حمص - الجمهورية العربية السورية

فحوى البحث

عالجَ هذا البحثُ توجيهَ القراءاتِ القرآنيَّةِ نحْويًّا في كتاب (اللُّباب في علوم الكتاب) للإمام ابن عادل (النُّعمانيّ) (المتوفى بعد ٨٨٠ هـ)، مع عرض موجزٍ لآراء النُّحاة والمُعْربين في الآيات المَدْرُوسَة.

ولطبيعة المادَّة العلميَّة المدروسة؛ فقد قُسِّمتْ على مبحثين:

- المبحث الأوَّل: توجيه اختلافِ الحركاتِ في آخر الاسم.
- المبحث الآخر: توجيه اختلافِ الحركاتِ في آخر الفعل.

ثُمَّ خُتِم هذا البحثُ بالنَّتائج التي ظهرتْ للباحث في نهاية الدِّراسة.

المُقَدِّمة:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيّد المرسلين، وعلى آلِهِ وصحبِهِ المنتجبين، أمَّا بعد:

فقد قام المفسرون للقرآن الكريم بدراسة القراءات القرآنية وتوجيهها، وبيان أثرها في المعنى والإعراب والأحكام، ومِن بينِ هؤلاءِ المفسرين الإمامُ ابن عادل (النعماني)، (المتوفى بعد ٨٨٠ هـ)، وهو أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، هذا في أكثر المصادر، وزاد في نسبه صاحب هدية العارفين (النعماني)، وكذلك ذكر هذه الزيادة صاحب معجم المؤلفين[1].

ومن أهمَّ الآثار العلمية التي صنفها الإمامُ ابن عادل (النعماني) (اللُّباب في علوم الكتاب)، وهو من التَّفاسير التي تُعدُّ مرجعَ الخاصَّة والعامَّة؛ لما حوت في طيَّاتها من الظَّواهر اللُّغويَّة، والآراء النَّحْويَّة المختلفة، وقد كان الإمامُ النعماني شديدَ العناية بالقراءات القرآنية (جمْعها والاحتجاج بها)، فضلا عن اهتمامه بتوجيه تلك القراءات لغوياً ونحوياً وصرفياً وصوتياً، وقد وقع اختياري في هذا البحث على دراسة التوجيه النحوي للقراءات، بهدف إظهار عناية الإمامُ النعماني في هذا المجال، والاطلاع على طريقته في التوجيه؛ هل كان متفرِّداً ببعض الآراء، أو كان ناقلًا جامعاً للآراء، ويهدف البحث أيضاً إلى تعميق فهم أوجه الإعراب لدى الباحث والقارئ من خلال هذه الدراسة وما تتطلبها من العودة إلى المصادر والمراجع ذات الصلة، راجياً العون من الله تعالى.

توجيه القراءات القرآنيَّة:

معنى التوجيه:

التوجيه لغةً: مصدرُ يوجِّه، توجيهًا، فهو مُوجِّه، والمفعول مُوجَّه. ووَجْهُ الكلام: السبيل الذي تقصده به[2].

التوجيه اصطلاحاً: هو علم غايته بيان وجوه القراءات القرآنية، واتفاقها مع قواعد النحو واللغة، ومعرفة مستندها اللغوي تحقيقًا للشرط المعروف (موافقة

(١) الأعلام: ٥/ ٥٨، معجم المؤلفين: ٢/ ٥٦٨، هدية العارفين: ١/ ٧٩٤.

(٢) لسان العرب: (وَجَه) ١٣/ ٥٥٦.

اللغة العربية ولو بوجه)، كما يهدف علم التوجيه إلى ردّ الاعتراضات والانتقادات التي يوردها بعض النحاة واللغويين والمفسرين على بعض وجوه القراءات[٣].

معنى القراءات:

القراءات لغةً: جمع قراءة.

القراءات اصطلاحاً: هِيَ اخْتِلَافُ أَلْفَاظِ الْوَحْيِ الْمَذْكُورِ فِي كَتَبَةِ الْحُرُوفِ أَوْ كَيْفِيَّتِهَا مِنْ تَخْفِيفٍ وَتَثْقِيلٍ وَغَيْرِهِمَا[٤].

وعرَّفها ابن الجَزَرِيِّ (٨٣٣هـ): علمٌ بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله[٥].

أمَّا الدُّمياطيُّ (١١١٧هـ) فذهب إلى أن القراءات: علمٌ يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل، وغيرُ ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع[٦].

والملاحظ هنا أنَّ ابن الجَزَرِيِّ والدّمياطيَّ اشترطا في القراءة النقل والسماع، وهذا ما ذهب إليه سيبويه من أنَّ القراءات سُنّةٌ يجب اتباعها[٧].

توجيه القراءات القرآنية في (اللُّباب في علوم الكتاب):

لم يكتفِ ابن عادل (النعماني) بذكر القراءات ومذاهب القُرَّاء فيها؛ بل راح يعمل على توجيه تلك القراءات من النواحي اللغوية والنحوية والصرفية، وجمْعِ أقوال النحاة والمعربين، وتدوينها مرتَّبةً في تفسيره بما يناسب المقام؛ ليَسْهُلَ على القارئ العودةُ إليها والإفادةُ منها.

ولغنى اللُّباب في علوم الكتاب بالتوجيهات النحوية سأخصُّها بهذه الصفحات مرتبةً في قسمين اثنين:

- القسم الأوَّل: توجيه اختلافِ الحركاتِ في آخر الاسم.

أ. توجيه الاسم بين الرفع والنصب:

في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[سورة البقرة: ٧] القراءة الظاهرة (غِشاوةٌ) بكسر الغين ورفع الهاء، ورُوِي في الشواذ (غِشاوةً)

(٣) مقدمات في علم القراءات: ٢٠١.
(٤) البرهان: ١/ ٣١٨.
(٥) منجد المقرئين: ٩.
(٦) إتحاف فضلاء البشر: ٦.
(٧) ينظر: الكتاب: ١/ ١٤٨.

بالنصب[٨].

يقول صاحب اللباب: («غشاوة» مبتدأ، وجاز الابتداء بها لأن النكرة متى كان خَبَرُها ظرفاً، أو حرف جر تاماً، وقدم عليها جاز الابتداء بها، [ويكون تقديم الخبر حينئذٍ واجباً؛ لتصحيحه الابتداء بالنكرة]، والآية من هذا القبيل، وهذا بخلاف قوله تعالى: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾[سورة الأنعام: ٢]؛ ويبتدأ بما بعده، وهو)) وعلى أبصارهم غشَاوَةٌ ((فـ)) على أبصارهم ((خبر مقدم، و«غِشَاوة» مبتدأ مؤخر.

وعلى الاحتمال الثاني يوقف على «قلوبهم»، وإنما كرر حرف الجر؛ ليفيد التأكيد ويشعر بذلك بِتَغَايُرِ الختمين، وهو: أنَّ ختمَ القلوب غيرُ ختم الأسماع.

وأما التعليل بتغاير الختمين فلا يجيء إلَّا على الاحتمال الأول، وقد يُقَال على الاحتمال الثاني أن تكرير الحرف يُشعر بتغاير الغِشَاوتين، وهو أنَّ الغشاوة على السَّمع غير الغِشَاوة على البَصَرِ، كما تقدم ذلك في الختمين)[٩].

وبعد أنْ وجَّه صاحب اللباب قراءة الرفع (المتواترة) عَمَد إلى توجيه قراءة النصب (الشاذة) قائلاً: (فأما النصب ففيه ثلاثة أوجه:

الأول: على إضمار فعل لائق، أي: وجعل على أبصارهم غِشَاوة، وقد صرح بهذا العامل في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾[سورةالجاثية: ٢٣].

والثاني: الانتصاب على إسقاط حرف الجر، ويكون «على أَبْصَارهم» معطوفاً على ما قبله، والتقدير: ختم الله على قلوبهم، وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم بغشاوة، ثم حذف الجر، فانتصب ما بعده. والثالث: أن يكون «غشاوة» اسماً وضع موضع المصدر الملاقي لـ«خَتَمَ» في المعنى؛ لأن الخَتْمَ والتغشية يشتركان في معنى السّتر، فكأنه قيل: «وختم التغشية» على سبيل التأكيد، فهو من باب «قعدت جلوساً»، وتكون «قلوبهم وسمعهم

(٨) مجمع البيان: ١/ ٨١ -٨٢، وينظر: الحُجَّة في القراءات السبع: ١/ ٦٧، الحُجَّة للقراء السبعة: ١/ ٢٩١.

(٩) اللباب في علوم الكتاب: ١/ ٣٢١.

وأبصارهم مختوماً عليها مغشاة»[10].

تبدو ملامحُ عناية صاحب اللباب بالقراءات الشاذة من خلال توجيه قراءةَ الآيةِ السابقةِ؛ وذلك بذكرها إلى جانب القراءة المتواترة، ودراسة ما تحتمله من أوجه نحوية اعتماداً على أدوات النحاة (السماع والقياس...)، ثُمَّ إخضاع هذه الأوجهِ للمعنى، والحكم عليها.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾[سورة البقرة: ٢٨٢] قرأ عاصم (تجارةً حاضرةً) بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع[11].

قال صاحب اللباب: «فالرَّفع فيه وجهان:

أحدهما: أنها التامة، أي: إلَّا أنْ تحدث، أو تقع تجارة، وعلى هذا فتكون «تُدِيرونها» في محلِّ رفع صفةً لتجارة أيضاً، وجاء هنا على الفصيح، حيث قدَّم الوصف الصريح على المؤول.

والثاني: أن تكون النَّاقصة، واسمها «تِجَارَةٌ» والخبر هو الجملة من قوله: «تُدِيرُونَهَا» كأنه قيل: إلا أنَّ تكون تجارةٌ حاضرةٌ مداراةٌ، وسوَّغ مجيء اسم كان نكرةً وَصْفُه، وهذا مذهب الفراء،[12] وتابعه آخرون[13]، وأمَّا قراءة عاصم، فاسمها مضمرٌ فيها، فقيل: تقديره: إلَّا أن تكون المعاملة، أو المبايعة، أو التجارة. وقدَّره الزَّجاج إلا أن تكون المداينة، وهو أحسن»[14].

وقد سَبق صاحبَ اللبابِ إلى هذا التوجيه الأخفشُ، وابنُ جرير، والزجاجُ، وابنُ خالويه، وأبو علي الفارسيُّ، وغيرُهم[15].

(١٠) اللباب في علوم الكتاب: ١/ ٣٢٢.
(١١) مجمع البيان: ٢/ ٢٧٠، ويُنْظر: التيسير: ٨٥، النشر: ٢/ ٢٣٧.
(١٢) يُنْظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ١٨٥، الدر المصون: ٢/ ٦٧٣.
(١٣) يُنْظر: جامع البيان: ٦/ ٨٢.
(١٤) مجمع البيان: ٢/ ٢٧٠.
(١٥) ينظر: معاني القرآن للأخفش: ١/ ٢٠٥، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١/ ٢٣٥-٢٣٦، جامع البيان: ٦/ ٨٢، الحُجَّة في القراءات السبع: ١/ ١٠٣، الحُجَّة للقراء

وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾[سورة هود: ٧١] قرأ ابن عامر وحفص (يعقوبَ) بنصب الباء، وقرأ الباقون برفعها(١٦).

قال صاحب اللباب: «وأمَّا قراءةُ الرَّفْع ففيها أوجه:

أحدها: أنَّه مبتدأ وخبره الظَّرف السَّابق.

والثاني: أنَّه مرفوعٌ على الفاعلية بالجارِّ قبله، وهذا يجيء على رأي الأخفش.

والثالث: أن يرتفع بإضمارِ فعلٍ أي: ويحدثُ من وراء إسحاق يعقوبُ(١٧).

والرابع: أنه مرفوعٌ على القَطْع يَعْنُونَ الاستئناف، وهو راجعٌ لأحَدِ ما تقدَّم من كونه مبتدأ وخبراً، أو فاعلاً بالجارِّ بعدهُ، أو بفعل مقدر»(١٨).

وأمَّا مَن فتح فقال (يعقوبَ) فاحتمل توجيهات عند صاحب اللباب:

«فأمَّا القراءةُ الأولى فاختلفوا فيها، هل الفتحةُ علامةُ نصبٍ أو علامة جرٍّ؟. والقائلون بأنَّها علامةُ نصب اختلفوا: فقيل: هو منصوبٌ عطفاً على قوله: «إسْحَاق». قال الزمخشريُّ: كأنَّهُ قيل: وَوَهَبْنَا لهُ إسحاقَ، ومنْ وراءِ إسْحَاق يعقوب، يعنى أنَّهُ عطف على التَّوهم فنصب، ولكنه لا ينقاس.

وقيل: منصوبٌ بفعلٍ مقدَّرٍ، أي: وَوَهَبْنَا يعقوب، وهو على هذا غيرُ داخلٍ في البشارة ورجَّحه الفارسي.

وقيل: هو منصوبٌ عطفاً على محلِّ «بإسحاقَ»؛ لأنَّ موضعهُ نصب كقوله: «وَأَرْجُلَكُمْ» بالنصب عطفاً على ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٦].

والفرقُ بين هذا والوجه الأول: أنَّ الأول ضمَّن الفعل معنى: «وَهَبْنَا» توهُّماً، وهنا باقٍ على مدلوله من غير توهُّم.

ومن قال بأنه مجرورٌ جعله عطفاً على «بإسحاقَ» والمعنى: أنَّها بُشِّرت بهما.

ونسب مكي الخفض للكسائي ثم

السبعة: ٢/ ٤٣٩، الدر المصون: ٢/ ٦٧٣.

(١٦) مجمع البيان: ٥/ ٣٣٥، ويُنْظر: التيسير: ١٢٥، النشر: ٢/ ٢٩٠.

(١٧) إعراب القرآن، النحاس: ٢/ ١٧٦، مشكل إعراب القرآن: ١/ ٣٦٩، البحر المحيط: ٦/ ١٨٣.

(١٨) اللباب في علوم الكتاب: ١٠/ ٥٢٦.

قال: «وهو ضعيفٌ إلا بإعادة الخافض؛ لأنَّك فصلت بين الجار والمجرور بالظَّرف». قوله: «بإعادة الخافض» ليس ذلك لازماً، إذ لو قدِّم ولم يفصلْ لم يلتَزِم الإتيان به»[١٩].

وقد سَبق صاحب اللباب إلى هذا التوجيه الأخفشُ، وابنُ جرير، والزجاجُ، وابنُ خالويه، وأبو علي الفارسيُّ، وغيرُهم[٢٠].

وفي قوله تعالى﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾[سورة المسد: ٤] قرأ عاصم (حمَّالةَ) بالنصب، والباقون بالرفع[٢١].

قال صاحب اللباب: «قرأ العامة: بالرفع، على أنها جملة من مبتدأ وخبر، سيقت للإخبار بذلك.

قيل: وامرأته، عطف على الضمير في «سيصلى» سوغه الفصل بالمفعول، و«حمَّالة الحَطبِ» على هذا فيها أوجه: كونها نعتاً لـ«امرأته»، وجاز ذلك لأن إضافته حقيقية، إذ المراد المعنى، وكونها: بياناً أو بدلاً، لأنها أقرب من الجوامد لتمحض إضافتها، أو كونها خبراً لمبتدأ مضمر أي: هي حمالةُ.

وقرأ العامة: «حَمَّالةُ» بالرفع، وعاصم: بالنصب على الشَّتم. وقد أتى بجميل من سبّ أم جميل.

قال الزمخشري: وكانت تكنى أم جميل، لعنها الله.

وقيل: نصب على الحال من «امرأته» إذا جعلناها مرفوعة بالعطف على الضمير.

ويضعف جعلها حالاً عند الجمهور من الضمير في الجار بعدها إذا جعلناها لـ«امْرَأتهُ» لتقدمها على العامل المعنوي، واستشكل بعضهم الحالية من أن المراد به المعنى، فتتعرف بالإضافة، فكيف يكون حالاً عند الجمهور؟.

ثم أجاب بأن المراد الاستقبال؛ لأنه ورد أنها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب النار، كما كانت تحمل الحطب في

(١٩) اللباب في علوم الكتاب: ١٠/ ٥٢٦.
(٢٠) ينظر: معاني القرآن للأخفش: ١/ ٢٨٥، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣/ ٦٢، جامع البيان: ١٥/ ٣٩٧، الحُجَّة للقراء السبعة: ٤/ ٣٦٤ -٣٦٥، الدر المصون: ٢/ ٦٧٣.
(٢١) مجمع البيان: ١٠/ ٥٣٦، ويُنْظر: التيسير: ١/ ٢٢٥.

الدنيا»[٢٢].

وهذا التوجيه قال به الفرَّاءُ، والأخفشُ، والزجاجُ، وابنُ خالويه، وأبو علي الفارسيُّ، وغيرُهم[٢٣]، وجوَّز بعضهم أن يكون (حمَّالةُ) بالرفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (هي حمَّالةُ الحطب)[٢٤]. أو (امرأتُه) مبتدأ و(حَمَّالةُ) خبر، و (في جيده) خبر ثانٍ[٢٥].

وذكر ابن عباس رضي الله عنه أنّ (حمَّالة) معرفة، فإنْ صار لقباً لها جاز فيه الرفع أَنْ يَكُونَ عَطْفَ بَيَانٍ أو بدلاً[٢٦].

ب. توجيه الاسم بين الرفع والجرّ:

في قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾ [سورة الرعد: ٤] قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفصٌ(جناتٌ) بالرفع و(زرعٌ ونخيلٌ صنوانٌ وغيرُ) برفع الأربعة، والباقون بخفضها[٢٧].

قال صاحب اللباب: «فالرفع في (زَرْعٌ ونَخِيلٌ) للنسق على «قِطَعٌ» وفي «صِنْوانٌ» لكونه تابعاً لـ«نَخِيلٌ»، و«غَيْرُ» لعطفه عليه، والخفض مراعاة لـ(أعنابٍ)[٢٨].

قال الطبريُّ: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان متقاربتا المعنى، وقرأ بكل واحدةٍ منهما قَرَأةٌ مشهورون، فبأيَّتهما قرأ القارئ فمصيب»[٢٩].

وسَبَقَ صاحبَ اللبابإلى هذا التوجيه الفراءُ، والأخفشُ، والطبريُّ، والزجاجُ، وابنُ خالويه، وأبو علي الفارسيُّ، وغيرُهم[٣٠].

(٢٢) اللباب في علوم الكتاب: ٢٠/ ٥٥٤.
(٢٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٩٨، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٧٥، الحُجَّة في القراءات السبع: ١/ ٣٧٧، الحُجَّة للقراء السبعة: ٦/ ٤٥٢.
(٢٤) الحُجَّة في القراءات السبع: ١/ ١٠٣، مشكل إعراب القرآن: ٢/ ٨٥١.
(٢٥) الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ٢٤٠.
(٢٦) البحر المحيط: ١٠/ ٥٦٧.
(٢٧) مجمع البيان: ٦/ ٦، ويُنْظر: التيسير: ١٣١، والنشر: ٢/ ٢٩٧.
(٢٨) اللباب في علوم الكتاب: ١١/ ٢٤٥.
(٢٩) جامع البيان: ١٦/ ٣٣٥.
(٣٠) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/ ٥٨، جامع البيان: ١٦/ ٣٣٥، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣/ ١٣٧، الحُجَّة في القراءات السبع: ١/ ٣٠٠، الحُجَّة للقراء السبعة: ٥/ ٦.

ج. توجيه الاسم بين النصب والجرّ:

في قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [سورة الفاتحة: ٧] يقول صاحب اللباب: وقرىء: «غَيْرَ» نصباً[٣١]، فقيل: حال من «الَّذِين» وهو ضعيف؛ لمجيئه من المُضَاف إليه في غير المواضع الجائز فيها ذَلِكَ، وقيل: من الضمير في «عليهم»، وقيل على الاستثناء المنقطع، ومنعه الفَرَّاء؛ قال: لأن «لا» لا تُزَادُ إلا إذا تقدمها نفي.

وأجابوا بأن «لا» صلة زائدة مثلها في قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسجُدَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٢][٣٢].

يُعَدُّ هذا التوجيهُ للقراءة الشاذة أحدَ الأمثلة الدَّالة على اهتمام صاحب اللباب بالقراءة الشاذة ابتداءً بذكرها، وانتهاءً بتوجيهها.

(٣١) مجمع البيان: ١/ ٤٩، وينظر: إتحاف فضلاء البشر: ١٦٥، معجم القراءات: ١/ ٢٣.

(٣٢) اللباب في علوم الكتاب: ١/ ٢٢٢. وينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٧، معاني القرآن للأخفش: ١/ ١٧، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١/ ٥٣.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِ وَمَا بَينَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيهِ تُرجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَملِكُ ٱلَّذِينَ يَدعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلحَقِّ وَهُم يَعلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلتَهُم مَّن خَلَقَهُم لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَومٌ لَّا يُؤمِنُونَ ﴾ [سورة الزُّخْرُف: ٨٥ -٨٨] قرأ عاصم وحمزة والأعمش (وقيلِهِ) بخفض اللام وكسر الهاء عطفاً على (الساعة)، أي: وعنده علم قيْلِه، أي: قول محمد أو عيسى (عليهما الصلاة والسلام)، وقرأ الباقون (قيلَهُ) بفتح اللام وضم الهاء عطفاً على محل الساعة، أي: وعنده أن يعلم الساعةَ ويعلم قيلَهُ[٣٣].

يقول صاحب اللباب «فأما الجر فعلى وجهين: أحدهما: أنه عطف على (الساعة) أي عنده علم قِيلِهِ، أي قول محمد، أو عِيسى والقَوْلُ والقَالُ والقِيلُ بمعنًى واحد. جاءت المصادر على هذه الأوزان.

(٣٣) مجمع البيان: ٩/ ١٠٤، ويُنْظر: الحُجَّة للقراء السبعة: ٦/ ١٦٠، التيسير: ١/ ١٩٧.

والثاني: أن الواو للقسم، والجواب إما محذوف، تقديره: لتُنْصَرُنَّ أو لأَفْعَلَنَّ بهم ما أريد، وإما مذكور، وهو قوله: إنَّ هَؤلاَءِ لا يؤْمِنُونَ. ذكره الزمخشري»[٣٤].

وأما قراءة النصب فيرى صاحب اللباب فيها ثمانية أوجه:

«أحدها: أنه منصوب على محل (الساعة) كأنه قيل: إنه يعلم الساعةَ ويعلم قِيلهُ كذا. الثاني: أنه معطوف على «سرهم ونَجْوَاهم» (أي لا يعلم سِرَّهُمْ) ولا يعلم قيلَه. الثالث: عطف على مفعول «يَكْتُبُونَ» المحذوف، أي يكتبون ذلك، ويكتبون قِيلَهُ كذا أيضاً. الرابع: أنه معطوف على مَفعول (يعلمون) المحذوف، أي يعلمون ذَلك (ويعلمون) قيله. الخامس: أنه مصدر، أي: قَالَ قِيلهُ.

السادس: أن ينتصب بإضمار فعل، أي: اللهُ يعلَمُ قيلَ رَسُولهِ. وهو محمدٌ ﷺ.

السابع: أن ينتصب على محلّ «بالحَقِّ»، أي شَهِدَ بالحقِّ وبقيلِه.

الثامن: أن ينتصب على حذف القسم»[٣٥].

وسَبق صاحب اللباب إلى هذا التوجيه الفراءُ، وابنُ جرير، والزجاجُ، وابنُ خالويه، وأبو علي الفارسيُّ، وغيرُهم[٣٦].

وقد ساوى الطبريّ بين القراءتين فقال: «والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار، صحيحتا المعنى، فبأَيَّتِهما قرأ القارئ فمصيبٌ»[٣٧].

د. توجيه الاسم مع التنوين وتركه:

- ما قرئ بالتنوين:

في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ [سورة الزُّمَر: ٣٨] قرأ أبو عمرو (أكاشفاتٌ

(٣٤) اللباب في علوم الكتاب: ١٧/ ٣٠٢. وينظر: الكشاف: ٤/ ٢٦٨.

(٣٥) اللباب في علوم الكتاب: ١٧/ ٣٠٣. وينظر: الحُجَّة للقراء السبعة: ٦/ ١٦٠.

(٣٦) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣/ ٣٨، جامع البيان: ٢١/ ٦٥٦، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ٤٢١، الحُجَّة في القراءات السبع: ١/ ٣٣٣، الحُجَّة للقراء السبعة: ٦/ ١٥٩.

(٣٧) جامع البيان: ٢١/ ٦٥٦.

ضرَّه(و(ممسكاتٌ رحمتَه(بالتنوين ونصب (أ ضرَّه) و (أ رحمتَه). وقرأ الباقون بغير تنوين، وخفضِ (أ ضرِّه) وٌأ(رحمتِه)[٣٨].

قال صاحب اللباب: «قوله: كاشفاتٌ وممسكاتٌ بالتنوين ونصب «ضُرَّهُ ورَحْمَتَهُ» وهو الأصل في اسم الفاعل، والباقون بالإضافة هو تخفيفٌ»[٣٩].

وقال القرطبي: «(كاشفاتٌ وممسكاتٌ) اسْمُ فَاعِلٍ فِي مَعْنَى الِاسْتِقْبَالِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ التَّنْوِينُ أَجْوَدَ»[٤٠].

ومن قرأ بترك التنوين وجرّ (ضرِّه)، و(رحمتِه) فعلى إضافة (كاشفاتُ) و(ممسكاتُ) إلى ما بعدها، للتخفيف؛[٤١] فالإضافة هنا (لفظية) لا تفيد تعريفًا أو تخصيصاً في المضاف، والغرض منها التخفيف في اللفظ بما يفقد منه لأجل الإضافة من التنوين وغيره[٤٢].

وقد مضى قبل صاحب اللبابإلى هذا التوجيه الزجاجُ، وابنُ خالويه، وأبو علي الفارسيُّ، وغيرُهم[٤٣]، ويرى ابن خالويه (٣٧٠هـ) أنَّ الحجة لمن نوّن: أنه أراد: الحال والاستقبال، ولمن أضاف: أنه أراد: ما ثبت ومضى[٤٤].

- ما قُرِئ بترك التنوين:

في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[سورة التوبة: ٣٠] قرأ عاصم والكسائي (عزيرٌ ابنُ الله) بتنوين الراء المضمومة وكسر نون التنوين لالتقاء الساكنين، وقرأ الباقون بغير تنوين[٤٥].

يقول صاحب اللباب «فأمَّا القراءةُ الأولى فيحتمل أن يكون اسماً عربياً مبتدأ، و«ابنُ» خبره، فتنوينه على الأصل، ويحتمل أن يكون أعجمياً، ولكنهُ خفيفُ اللَّفظِ، كـ«نُوحٍ»، و«لُوطٍ»، فصُرفَ لخفَّة لفظه، وهذا قول أبي عبيد، يعني: أنَّهُ تصغيرُ «عَزَر»، فحكمه حكم مُكَبَّره،

(٣٨) مجمع البيان: ٨/ ٤٤٢، ويُنْظر: التيسير: ١٩٠، النشر: ٢/ ٣٦٣.
(٣٩) اللباب في علوم الكتاب: ١٨/ ٥١٨.
(٤٠) الجامع لأحكام القرآن: ١٥/ ٢٥٩.
(٤١) الكشاف: ٤/ ١٢٩.
(٤٢) إعراب القرآن، النحاس: ٤/ ١١.
(٤٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٣٥٥، الحُجَّة في القراءات السبع: ١/ ٣١٠، الحُجَّة للقراء السبعة: ٦/ ٩٦.
(٤٤) الحُجَّة في القراءات السبع: ١/ ٣١٠.
(٤٥) يُنْظر: التيسير: ١١٨، النشر: ٢/ ٢٧٩.

وقال: هذا ليس منسوباً إلى أبيه، إنَّما هو كقولك: زيد ابن الأمير، وزيد ابن أخينا، و«عُـزَيْـرٌ» مبتدأ، وما بعده خبره، ورُدَّ هذا بأنَّه ليس بتصغير، إنَّما هو أعْجَمي، جاء على هيئة التَّصغيرِ في لسان العرب، كـ«سُـلَـيْـمَان» جاء على مثال «عُـثَـيْـمَان، وعُمَيْرَان». وأمَّا القراءةُ الثانية؛ فيحتمل حذفُ التنوين ثلاثة أوجه:

أحدها: أنَّه حذف التنوين لالتقاء الساكنين، قال الفـرَّاء: نون التنوين في «عُزَيْرٌ» ساكنة، والباء في قوله «ابْنُ الله» ساكنة، فالتقى ساكنان، فحذف نون التنوين للتخفيف، وهو اسمٌ منصرفٌ مرفوعٌ بالابتداء، و«ابن» خبره.

الثاني: أنَّ تنوينه حذف، لوقوع الابن صفة له، فإنَّه مرفوعٌ بالابتداء، و«ابن» صفته، والخبرُ محذوفٌ، أي: عُزَيرٌ ابْنُ الله نَبيُّنا، أو إمامُنَا، أو رسولُنَا، وقد تقدَّم أنَّه متى وقع «الابن» صفة بين علمين، غير مفصولٍ بينه وبين موصوفه، حذفت ألفه خطّاً، وتنوينه لفظاً، ولا تثبت إلا ضرورة، وتقدم الاستشهادُ عليه آخر المائدة. ويجوز أن يكون «عُزَيْرٌ» خبر مبتدأ مضمر، أي: نَبيُّنا عُزير، و«ابن» صفةٌ له، أو بدل، أو عطف بيان.

الثالث: أنه إنَّما حذف، لكونه ممنوعاً من الـصَّرف، للتعريف والعجمة. ولم يرسم في المصحف إلا بإثبات الألـف، وهي تنصرُ من يجعله خـبراً[٤٦]. وسَبق صاحب اللبابإلى هذا التوجيه الفراءُ، والأخفشُ، والزجاجُ، وابنُ خالويه، وأبو علي الفارسيُّ، وغيرُهم[٤٧].

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾[سورة الصافات: ٦]، قرأ حفصٌ عن عاصم وحمزةُ (بزينةٍ) بالتنوين وجرّ (الكواكبِ)، وقرأ أبو بكر (بزينةٍ) منوناً، ونصب (الكواكبَ)، وقرأ الباقون (بزينةِ الكواكبِ) بغير تنوين[٤٨].

قـال صاحب اللباب: «قـرأ عاصم بروايـــة أبي بكر: «بِزينَةٍ» منونة ونصب

(٤٦) اللباب في علوم الكتاب: ١٠/ ٦٩.

(٤٧) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٤٣١، معاني القرآن للأخفش: ١/ ٣٥٦، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢/ ٤٤٢، الحُجَّة في الـقـراءات السبع: ١/ ١٧٤، الحُجَّة للقراء السبعة: ٤/ ١٨١.

(٤٨) مجمع البيان: ٨/ ٣٢٤، ويُنْظر: التيسير: ١٨٦، النشر: ٢/ ٣٥٦.

«الكواكب» وفيه وجهان: أحدهما: أن تكون الزنية مصدراً وفاعله محذوف بأن زين الله الكواكب في كونها مضيئةً حسنةً في أنفسها.

والثاني: أن الزينة اسم لما يزان به كاللِّيقَةِ اسم لما يُلاَقُ به الدَّوَاة فتكون الكواكب على هذا منصوبة بإضمار أعني، أو يكون بدلاً من السَّمَاء الدُّنْيَا بدل اشتمال أي كواكبها، أو من محل «بزينَةٍ» وحَمْزَةُ وحفصٌ كذلك إلا أنهما خفضا الكواكب على أن يراد بزينة ما يزان به، والكواكب بدل أو بيان للزينة وهي قراءة مسروق بن الأجدع قال الفراء: وهو رد معرفة على نكرة كقوله: «بالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ» فرد نكرة على معرفة، وقال الزجاج: الكواكب بدل من الزينة لأنها هي كقولك: «مَرَرْتُ بأَبِي عَبْد اللهَّ زَيْدٍ»، والباقون بإضافة (زينَة) إلى (الكواكب) وهي تحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون إضافة أعم إلى أخص فتكون للبيان نحو: ثَوْبُ خَزَّ.

الثاني: أنها مصدر مضاف لفاعله أي بأن زَيَّنَتِ الكَوَاكِبُ السَّمَاءَ بضَوْئِهَا.

والثالث: أنه مضاف لمفعوله، أي: بأن زينها الله بأن جعلها مشرقة مضيئة في نفسها»[٤٩].

وهذا توجيه الفراءُ، والأخفشُ، والزجاجُ، وابنُ خالويه، وأبو علي الفارسيُّ، وغيرُهم[٥٠].

٥. **الضمائر بين المتكلم والمخاطب:**

في قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [سورة الصافات: ١٢] ((بل عجبت ويسخرون)) قرأ الأعمش وحمزة والكسائي (بل عجبتُ) بضم التاء، وقرأ ابن عامر وابن كثير وعاصم وأبو عمرو ونافع (بل عجبتَ) بفتح التاء[٥١].

قال صاحب اللباب: «قوله: {بَلْ عَجِبْتَ} قرأ الأَخَوَانِ بضم التاء والباقون بفتحها فالفتحُ ظاهر وهو ضمير الرسول أو كل من يصح منه ذلك، وأما الضم فعلى صرفه للمخاطب أي قُلْ يا محمد بل

(٤٩) اللباب في علوم الكتاب: ١٦/ ٢٧٦.
(٥٠) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٨٢، معاني القرآن للأخفش: ٢/ ٤٩٠، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣/ ١٣٧، الحُجَّة في القراءات السبع: ١/ ٣٠١، الحُجَّة للقراء السبعة: ٦/ ٥٠.
(٥١) مجمع البيان: ٨/ ٣٢٨، ويُنْظر: النشر: ٢/ ٣٥٦.

عَجِبْتُ أنا، أو على إسناده للباري تعالى على ما يليق به.

وعن شُرَيْحٍ أنه أنركها وقال: اللهُّ لا يَعجَبُ فبلغت إبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ فقال: إنَّ شريحاً كان مُعْجَباً برأيه قرأها مَنْ هو أعلم (منه)؛ يعني عبد اللهِّ بن مسعود وابن عباس والعَجَبُ من الله ليس كالتَّعَجُّب من الآدميين كما قال: ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [سورة التوبة: ٧٩] وقال: ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾[سورة التوبة: ٦٧] فالعجب من الآدميين إنكاره وتعظيمه والعُجْب من الله تعالى قد يكون بمعنى الإنكار والذَّمِّ وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جاء في الحديث: «عَجِبَ رَبُّكُمْ مِنْ شَابٍّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ» وقوله: «عَجِبَ رَبُّكُمْ مِن إِلِّكُمْ وقُنُوطِكِمْ وسُرْعَةِ إجَابتِهِ إيَّاكُمْ» وسُئِلَ جُنَيْدٌ من هذه الآية فقال: إن الله لا يعجب من شيء، ولكن اللهَّ وافق رسولَه لَّما عِجِبَ رسولُهُ وقال: ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾أي هو كما تقوله»[٥٢].

وعدّ الزجاج إنكار هذه القراءة (قراءة الرفع) غلطًا؛ لأن القراءة والرواية كثيرة، والعَجَبُ من الله (عز وجل) خلافُه من الآدميين كما قال: ﴿ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾[سورة الأنفال: ٣٠]، و ﴿ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [سورة التوبة: ٩]، و﴿ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾[سورة النساء: ١٤٢]، والمكر والخداع خلافُه من الآدميين[٥٣].

وذهب مكيٌّ إلى أن الضمير ليس مسنداً إلى الله فقال: «مَن ضمَّ التَّاءَ جعله إخبارًا عَن النَّبِي عَن نَفْسه، أَو إخباراً من كل مُؤمن عَن نَفْسه بالعجب من إنكار الْكفَّار الْبَعْث مَعَ ثبات الْقُدْرَة على الِابْتِدَاء لِلْخلقِ؛ فَهُوَ مثل الْقِرَاءَة بِفَتْح التَّاء فِي أَن التَّعَجُّب من النَّبِي، وَمثله فِي قِرَاءَة مَن ضمَّ التَّاءَ قَوْلُه: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ [سورة مريم: ٣٨] أَي: هم مِمَّن يجب أَن يُقَال فيهم: مَا أسمعَهم وأبصرَهم يَوْم الْقِيَامَة»[٥٤].

يرى الباحث قوة التوجيهات السابقة؛ فالآية تحتملها ولكلِّ رأي ما يؤيده، والقرآن حَمَّالُ أوجه؛ لذا لا يجوز

(٥٢) اللباب في علوم الكتاب: ١٦/ ٢٨٦.

(٥٣) معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٣٠٠.

(٥٤) مشكل إعراب القرآن: ٢/ ٦١١ -٦١٢.

ردّ قراءة متواترة وإنْ أشكل ظاهرها عند غياب تدبُّرِها وفهم سياقها. وقد سَبق صاحبَ اللباب إلى هذا التوجيه الفراءُ، والزجاجُ، وأبو علي الفارسيُّ، وغيرُهم(٥٥).

- القسم الثاني: توجيه اختلاف الحركات في آخر الفعل:

يتناول هذا القسم توجيهات صاحب اللباب لاختلاف الحركات في آخر الفعل وبنائه للفاعل والمفعول.

أ. توجيه الرفع:

في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ﴾[سورة البقرة: ٢٣٣] قرأ ابن كثير وأبو عمرو (لا تضارُّ) بضمِّ الراء، وقرأ الباقون بفتحها(٥٦).

يقول صاحب اللباب «وقوله: «لا تُضَارُّ» برفع الراء مشددةً، وتوجيهها واضح، لأنه فعلٌ مضارعٌ لم يدخل عليه ناصبٌ ولا جازمٌ فرفع، وهذه القراءة مناسبةٌ لما قبلها، من حيث إنه عطف جملة خبريّةٌ على خبرية مثلها من حيث اللفظ؛ وإلا فالأولى خبريةٌ لفظاً ومعنًى، وهذه خبريةٌ لفظاً نهيَّةٌ معنًى ويدل عليه قراءة الباقين، وقرأ باقي السَّبعة: بفتح الراء مشدّدةً، وتوجيهها أنَّ (لا) ناهيةٌ، فهي جازمةٌ»(٥٧).

ولم يأتِ صاحب اللباب بجديد في هذا التوجيه؛ لأنه موجود عند السابقين كالفرَّاء، والزجَّاج، وأبي عليٍّ الفارسيِّ، وغيرهم(٥٨).

ب. توجيه النصب:

في قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[سورة المنافقون: ١٠]

(٥٥) ينظر: معاني القرآن: ٢/ ٢٨٤، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ٣٠٠، الحُجَّة للقراء السبعة: ٦/ ٥٣.

(٥٦) مجمع البيان: ٢/ ١٤٥، ويُنْظر: التيسير: ٨١.

(٥٧) اللباب في علوم الكتاب: ٤/ ١٧٦.

(٥٨) ينظر: معاني القرآن: ١/ ١٤٩، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١/ ٣١٣، الحُجَّة للقراء السبعة: ٢/ ٣٣٣.

قرأ أبو عمرو (فأصَّدَّقَ وأكونَ) بالواو ونصب النون، وقرأ الباقون (وأكنْ) بغير واو وجزم النون[٥٩].

قال صاحب اللباب: «قوله: {فَأَصَّدَّقَ} نصب على جواب [التمني] في قوله: (لولا أخرتني)، قوله: (وأكونَ) بنصب الفعل عطفاً على {فَأَصَّدَّقَ}، والباقون (وأكنْ) مجزوماً، وحذفت الواوُ لالتقاءِ الساكنين»[٦٠].

وصف الطبري القراءتين بالصواب[٦١]. وقد سَبق صاحب اللبابإلى هذا التوجيه الفراءُ، والزجاجُ، وابنُ خالويه، وأبو علي الفارسيُّ، وغيرُهم[٦٢].

ت. توجيه الجزم:

في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾[سورة مريم: ٥ -٦] قرأ أبو عمرو والكسائي (يرثْني ويرثْ) بجزم (الثاء) فيهما، وقرأ الباقون (ويرثُني ويرثُ) برفعها فيهما[٦٣].

قال صاحب اللباب: «(يرثْني ويرثْ) بجزم الفعلين على أنَّهما جوابٌ للأمر؛ إذ تقديره: إن يهبْ، والباقون برفعهما؛ على أنَّهما صفةٌ لـ(وليًّا)»[٦٤].

ومَن قرأ بالرفع فيهما جعل (يرثُني) صفة لقوله: (وليًا)، أي: فهب لي من لدنك ولياً وارثاً؛ لأنه إنما سأل زكريا (ولياً) وارثاً علمَه ونبوتَه، فليس المعنى على الجواب؛ لأن الولي يكون غيرَ وارث؛ فليس المعنى: إنْ وهبت لي وليًا يرثْني[٦٥].

وسَبقَ صاحب اللباب إلى هذا التوجيه الفراءُ، والزجاجُ، وأبو علي الفارسيُّ، وغيرُهم[٦٦]، ويجوِّز بعضهم الرفع على

(٥٩) مجمع البيان: ١٠/ ٢٠، ويُنْظر: التيسير: ٢١١، النشر: ٢/ ٣٨٨.
(٦٠) اللباب في علوم الكتاب: ١٩/ ١١٩.
(٦١) جامع البيان: ٢٣/ ٤١٢.
(٦٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٦٠، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ١٧٨، الحُجَّة في القراءات السبع: ١/ ٣٤٦، الحُجَّة للقراء السبعة: ٦/ ٢٩٣.
(٦٣) مجمع البيان: ٦/ ٤٥٦، ويُنْظر: التيسير: ١٤٨، النشر: ٢/ ٣١٧.
(٦٤) اللباب في علوم الكتاب: ١٣/ ١٠.
(٦٥) الحُجَّة للقراء السبعة: ٥/ ١٩١، حجة القراءات: ٤٣٨.
(٦٦) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/ ١٦١، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣/ ٣٣٠، الحُجَّة للقراء السبعة: ٥/ ١٩١.

القطع مما قبله [٦٧]، ذلك أن الآية قد تمّتْ عند قوله: (ولياً) ثم تبتدئ (يرثُني)، أي: هو (يرثُني)، أي: هو (يرثُني ويرثُ)[٦٨]. ولا يخلو هذا الرأي الأخير من التكلف، ولسنا بحاجة لتقدير مبتدأ محذوف، وعليه فتوجيه صاحب اللباب أولى وأيسر.

ث. توجيه البناء للفاعل والمفعول:

يتطرَّق صاحب اللباب في توجيهه للقراءات إلى صيغة بناء الفعل للفاعل والمفعول موجِّهاً كُلّاً منهما، ومن ذلك ما ذكره في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٦١] قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم (يَغُلَّ) بفتح الياء وضم الغين، وقرأ الباقون (يُغَلَّ) بضم الياء وفتح الغين[٦٩].

فمن قرأ بفتح (الياء) وضم (الغين) أسند الفعل فيه إلى الفاعل، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٩]. ومن قرأ بضم (الياء) وفتح (الغين)، فالمعنى: يُخَوَّن، أي: يُنسَب إلى الغلول[٧٠]. ويجوز أن يكون المعنى: ما كان لنبي أن يوجد غالاً، كقولك: أحمدتُ الرجلَ، أي: وجدته محموداً[٧١].

قال صاحب اللباب: «بفتح الياء وضم الغين -من غل- مبنياً للفاعل، ومعناه: أنه لا يصح أن يقع من النبي غلول؛ لتنافيهما، فلا يجوز أن يتوهَّمَ ذلك فيه ألبتة. وقرأ الباقون «يُغَلَّ» مبنياً للمفعول، وهذه القراءة فيها احتمالانِ:

أحدهما: أن يكون من «غَلَّ» ثلاثياً، والمعنى: ما صح لنبيٍّ أن يخونه غيره ويَغُلَّهُ، فهو نفيٌ في معنى النهي، أي: لا يَغُلَّهُ أحدٌ.

ثانيهما: أن يكون من «أغَلَّ» رباعياً، وفيها وجهانِ:

(٦٧) مشكل إعراب القرآن: ٢/ ٤٥٠.
(٦٨) حجة القراءات: ٤٣٨.
(٦٩) مجمع البيان: ٢/ ٥١٤، ويُنْظر: التيسير: ٩١، النشر: ٢/ ٢٤٣.
(٧٠) حجة القراءات: ١٨٠.
(٧١) مشكل إعراب القرآن: ١/ ١٧٨.

أحدهما: أن يكون من «أغَلَّهُ» أي: نسبه إلى الغُلُولِ، كقولهم: أكذبته إذا نسبته إلى الكذب -وهذا في المعنى كالذي قبله، أي: نفي في معنى النهي، أي: لا يَنْسبه أحدٌ إلى الغلولِ.

الثاني: أن يكون من «أغلَّهُ» أي: وَجَدتهُ محموداً وبخيلاً.

والظاهر أن قراءة «يَغُلَّ» بالبناء للفاعل -لا يُقَدَّر فيها مفعول محذوف؛ لأن الغرض نفي هذه الصفةِ عن النبيِّ من غير نظر إلى تعلق بمفعول، كقولك: وهو يُعْطِي ويمنع -تريد إثبات هاتين الصفتين، وقدر له أبو البقاء مفعولاً، فقال: تقديره أن يغل المال أو الغنيمة»[٧٢].

وسَبق صاحب اللباب إلى هذا التوجيه الفراءُ، الأخفشُ، والزجاجُ، وابنُ خالويه، وأبو علي الفارسيُّ، وغيرُهم[٧٣].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾[سورة الكهف: ٤٧] قرأ الكوفيون ونافع (نُسيِّر) بالنون وكسر الياء ونصب (الجبالَ)، وقرأ الباقون (تُسيَّر) بالتاء وفتح الياء ورفع (الجبالُ)[٧٤].

قال صاحب اللباب: «(تُسيَّر) بضمِّ التاء، وفتح الياء مبنياً للمفعول، «الجِبَالُ» بالرفع؛ لقيامه مقام الفاعل، وحذف الفاعل؛ للعلم به، وهو الله، أو من يأمره من الملائكة، وهذه القراءة موافقةٌ لما اتُّفق عليه في قوله ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ ﴾ [سورة النبأ: ٢٠]، ويؤيِّدها قراءة عبد الله هنا {وَسُيِّرَتِ الجبال} فعلاً ماضياً مبنياً للمفعول.

والباقون (نُسيِّر) بنون العظمة، والياء مكسورة من «سَيَّرَ» بالتشديد؛ «الجبالَ» بالنصب على المفعول به، وهذه القراءة مناسبة لما بعدها من قوله ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾»[٧٥].

(٧٢) اللباب في علوم الكتاب: ٦/ ٢٣.
(٧٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٢٤٦، معاني القرآن للأخفش: ١/ ٢٣٩، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١/ ٤٨٣، الحُجَّة في القراءات السبع: ١/ ١١٥، الحُجَّة للقراء السبعة: ٣/ ٩٦.
(٧٤) مجمع البيان: ٦/ ٤٠٢، ويُنْظر: التيسير: ١٤٤.
(٧٥) اللباب في علوم الكتاب: ١٢/ ٥٠٢.

وفي قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ [سورة الأحقاف: ١٦]، قرأ حفص وحمزة والكسائي (نَتَقَبَّلُ عنهم أحسن ما علموا ونتجاوز) بالنون فيهما مفتوحة ونصب نون (أحسنَ) وقرأ الباقون (يُتقبَّلُ عنهم أحسنُ ما علموا ويتجاوز) بضم الياء فيهما ورفع نون (أحسنُ)(٧٦).

رأى صاحب اللباب أنَّ من قرأ (نَتَقَبَّلُ) بفتح النون مبنياً للفاعل ونصب «أحسنَ» على المفعول به، وكذلك (نتَجاوَزُ) والباقون للمفعول ورفع «أحْسَنُ: لقيامه مقام الفاعل، ومكان النون ياء مضمومة في الفعلين»(٧٧).

فمن قرأ بالياء المضمومة في الفعلين بنى الفعل للمفعول، و(أحسنُ) بالرفع نائب فاعل لـ(يُتقبَّلُ)، ومن قرأ بنون مفتوحة في الفعلين بنى الفعل للفاعل، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره (نحن). أي نَحن نَتَقَبَّلُ عَنْهُم ونتجاوز، و(أحسنَ)بالنصب مفعول به. والقراءتان معروفتان صحيحتا المعنى(٧٨).

كانتْ هذه نماذجَ ممَّا ورد في تفسير اللباب في علوم الكتاب، سعيتُ من خلالها إلى إظهارِ جهدِ صاحب اللبابفي توجيه القراءاتِ القرآنية نحْويَّاً، ورافقَ هذه النماذجَ أقوالُ بعضِ النحاة والمعربين؛ وذلك رغبةً في إغناء الدِّراسة، وللوقوفِ على الأصالة في التوجيهات، ومعرفةِ مدى تأثُّرِ صاحب اللباب بغيره من المتقدمين. أرجو أنْ أكون قد وُفِّقتُ إلى ما إليه سعيتُ، وأنْ تتحققَ الغايةُ من هذا البحث.

الخاتمة والنتائج:

أظهر هذا البحثُ عنايةَ صاحب اللباب (المتوفى بعد ٨٨٠ هـ) في تفسيره: اللباب في علوم الكتاب بالقراءات القرآنية وتوجيهها، وتبيَّنَ للباحث في هذا الدِّراسة الخاصَّة بالتوجيه النحويّ عند صاحب اللباب ما يلي:

١. اعتمد صاحب اللباب في

(٧٦) مجمع البيان: ٩/ ١٥٤، ويُنْظر: التيسير: ١٩٨، النشر: ٢/ ٣٧٣.

(٧٧) اللباب في علوم الكتاب: ١٧/ ٣٩٦، ويُنْظر: الحُجَّة للقراء السبعة: ٦/ ١٨٥، حجة القراءات: ٦٦٤.

(٧٨) جامع البيان: ٢٢/ ١١٧.

توجيه القراءات على ما اعتمد عليه النحاة المتقدمون من أدوات كالسماع والقياس، إضافةً إلى مراعاة المعنى والسياق.

٢. لم يخرج صاحب اللبابفي توجيهات عن دائرة مَن سبقه في هذا الفنِّ من العلماء.

٣. ما أورده صاحب اللبابمن آراء لم يكن متفرِّدًا بها؛ بل كان له فضلُ جمعها وتلخيصها وصياغتها.

٤. كان يكثر من ذكر الأقوال في الآية الواحدة؛ فينقل أكثر من قول ثم يختار ويرجح أحدها، وقد لا يرجح مكتفياً بالنقل.

٥. كان صاحب اللباب ينسب الأقوال لأصحابها، وفي كثير من المواضع لا يعزوها لأحد، ومن الممكن أنْ تكون هذه الآراء له وقد وافقت كلام السابقين.

٦. يظهر بوضوح تأثُّر صاحب اللباب بالسمين الحلبي، فقد تابعه في معظم التوجيهات النحوية، ويبدو للباحث أن صاحب اللبابقد أودع في تفسيره (اللباب في علوم الكتاب) جُلَّ كتاب السمين الحلبي (الدر المصون)، ولم يُشِرْ إلى ذلك في كثير من المواضع.

٧. لم يقتصر توجيه صاحب اللباب النحوي على القراءات المتواترة؛ بل كانت له عناية بالقراءات الشاذة بوصفها مصدراً مهمًّاً من مصادر السماع.

ختاماً أقول: تبقى دراسة توجيه القراءات القرآنية مصدراً ثَرّاً من مصادر العلم باللغة العربية؛ لا سيما مسائل النَّحْو والإعراب، وهو ما يمكِّنُ طالبَ الأدبِ العربيِّ، وهذا ما رجوتُ تحقيقَه من هذا البحث، والحمدُ لله ربِّ العالمين بدءاً واختتاماً.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، الدِّمياطيّ، (١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية -لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.
- إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس

(٣٣٨هـ) وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.

- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت -لبنان، الطبعة: السابعة، ١٩٨٦م.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي.
- التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ) تحقيق: أوتوبرتزل، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: تحقيق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية-القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤ م.
- الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، (٣٧٠هـ) تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ.
- حجة القراءات، ابن زنجلة (حوالي ٤٠٣هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.
- الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسيّ (٣٧٧هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي، دار المأمون للتراث-دمشق/ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ-١٩٩٣م.
- كتاب سيبويه، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة: ط٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- الكشاف عن حقائق غوامض

التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري (٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي -بيروت، الطبعة: الثالثة-١٤٠٧ هـ.

- اللباب في علوم الكتاب، النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية -بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.
- لسان العرب، ابن منظور (٧١١هـ)، دار صادر -بيروت، الطبعة: الثالثة-١٤١٤ هـ.
- مجمع البيان لعلوم القرآن-الطَّبْرِسيّ (٥٤٨هـ) -دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، القاهرة -١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ.
- معاني القرآن، الأخفش، (٢١٥هـ)، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠ م.
- معاني القرآن، الفراء (٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة: الأولى.
- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣١١هـ)، عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م.
- معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.
- مقدمات في علم القراءات، محمد أحمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكري، محمد خالد منصور، دار عمار، (الأردن)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١ م.